الفصل الأول

الراديكاليون والمعتدلون

« بتقدم النزعة الاعتدالية ، يعيد المثقف تعليم ذاته »
Peter Nettl (1969, p. 25)

« لقد ظهر المثقفون فى الوقت الراهن ككل باعتبارهم جزءا من الطبقة العامله ... ان عملية التحول هى التى تفسر لنا مدى ثقل حركة الاعتراضات التى تحدث فى الوقت الراهن والتى تسود المستويات التعليمية العليا .. كما أن عملية التحول هذه تستطيع أن تحدد لنا تلك العلاقة الجديدة القائمة بين الانتلجنسيا والعملية الثورية » .
Bettina Aptheker (1972, pp. 27-8).

obeikandl.com

obeikandl.com

العمليـــة الراديكالية
Radicalisation

لعله من قبيل اللغو أن نكرر الاشارة الى تلك الرؤية ذائعة الصيت التى ترى أن دور المثقف مؤهل – بطبيعته – لكى يتبنى الموقف **النقـــدى خلافا لما هو سائد فى المجتمع** · ويتطلب الانتاج الفكرى ذى الصبغة التأثيرية استعدادا معينا كى يقف – **كمعارض** – أمام الحكم المتوارثة والمتفق عليها ، كما أن تطبيق هذا للفهم على الظواهر الاجتماعية والسياسية يتضـــمن رفضا للايديولوجيات السائدة · *

ولقد أشارت دراسات عديدة الى تلك العلاقة القائمة بين الدور الذى يلعبه المثقف من ناحية وتبنيه **للموقف الراديكالى** · وانه لمن المشـاهد أن كثيرا من الأنساق المعرفية يمكن هويتها – بوجه عام – باعتبارها علوما تحتضن المثقفين · وهـــذه العلـــوم تتضـــمن الانســـانيات Humanities **والعلوم الاجتماعية** Social Sciences وهى الانساق المعرفية التى تفرز **الراديكاليين ، هذا ، بعكس العلوم الطبيعية أو المهنية** ، ولعل هذا يمكن من ينتمى الى الانسانيات او العلوم الاجتماعية من تحديد هويته باعتباره أحد مثقفى مجتمعه ، وهو ما نجد عكسه لدى المهنيين professionals الذين ينتمون الى العلوم الطبيعية (١) لذلك نلاحـظ أن المثقفين (وهـــم الذين يعنى بهم المؤلف هؤلاء الذين ينتمون الى الانسـانيات والعـــلوم الاجتماعية – المترجم) كانوا دائما من أصحاب الجناح اليسارى · (٢) (Hajda, 1961 ; Lipset, 1968, pp. 17-18; Soares in Lipset and salari, 1967, pp. 431-53; Wood, 1959, p. 53).

---

* آثرنا أن تكون تعليقاتنا على الأفكار الواردة فى هذا المؤلف والتى ترى أنها تستحق وقفة او تعليقا فى نهاية ترجمتنا له ، قما شروحنا لبعض أفكار المؤلف أو مايعنيه ببعض الكلمات والجمل ففضلنا أن تكون بالمتن وبين قوسين :

ومع ذلك ، فانه من غير الصواب أن نفترض أن هناك باحثا ما قادرا على تفسير الراديكالية خلال ـ فقط ـ المتطلبات الثابتة لدور المثقفين فى المجتمع ، ويرجع خطأ هذا الافتراض الى اختلاف نسب المثقفين الراديكاليين وفقا للزمان والمكان ٠

وجدير بالاشارة أن هناك بعض القوى الاجتماعية تقع خارج النطاق الدور الذى يلعبه المثقفون ، لكنها ـ أى هذه القوى ـ تخلق حالة من اللا استقرار فى بعض الأحوال ، وفى أحيان أخرى تكون سببا فى تحقيق الاستقرار للمجتمع ولا شك أن هذه القوى لها تأثيرها على الدور الذى يلعبه المثقفون فى المجتمع ٠

وتحت عنوان « خربشة المتمرد » Scratch arebel كتب فيفيل T.R. Fyvel دراسة حديثة معاصرة موضوعها « المثقفون البريطانيون » British Intellectuals « وتستطيع فى أيامنا هذه أن تجد فردا ما يبحث عن الوضع الآمن » (1968, pp. 119-20)

ولعل تلك القضية التى اثارها فيفيل Fyvel وانى تعنى أن المثقفين الراديكاليين أو راديكالية المثقفين لا تحيا الا من خلال عدم الأمان الاقتصادى هذه القضية قد ترددت كثيرا خلال لعيد من الأعمال الكلاسيكية ٠

ولقد لاحظ كل من ماركس Marx وانجلز Engels فى « بيان الحزب الشيوعى » Manifesto of the Communist Party أن الأدباء قد يرتبطون بالحركة الاشتراكية وذلك تأسيسا على ظاهرة الاستقطاب الطبقى Polarisation of classes التى تصاحب عاة التطور الرأسمالى وهو التطور الذى يجعل الأدباء أكثر انجذابا نحو طبقة البروليتاريا ٠ (1972, p. 343)

ويتتبع لافارج Lafargue الخط الذى سار وفقا له حماه والذى يستهدف تفسير ظاهرة تجمع المثقفين كجماعة تبحث عما يسد رمقها

حيث أكد أنهم جماعة تنمو بصورة لافتة ومتزايدة ، وتنزع الى الانتماء الى الاشتراكية . (in de Huszar, 1960, p. 324)

ولم يكن الماركسيون وحدهم هم الذين تبنوا هذا التفسير ، ولكن من المؤكد أن غالبية أصحاب نظرية الصفوة Elite theorists قد تعاطفوا مع تلك الرؤية ايضا .

ومن منظرى الصفوه نجد روبرت ميتشيل Michels (١٩٣٢) الذى حاول أن يقدم لنا تفسيرات تتعلق بكيفية ارتباط عدم استقرار جماعة المثقفين بتخلق المثقف البروليتارى intellectual proletariat وصياغة هويته وذلك انطلاقا من تلك الهوة الشاسعة التى تفصل ما بين كم المثقفين من جهة والكم المتاح لهم من فرص العمل من جهة أخرى .

أما كارل ما نهيم Mannheim فلقد أشار الى أن عملية انتقال المثقف من طبقة الى أخرى تتحقق عندما يواجه هذا المثقف عجزا فجائيا فيما يتعلق بفرص العمل المتاحة ، عندئذ لا يعمل هذا المثقف من أجل الطبقات العليا ولكنه يتخذ موقفا معارضا ، محاولا تطوير نماذج للفكر والسلوك معارضة لما هو واقع . (1956, p. 145) .

ويقرر كرين برنيتون Brinton أثناء مناقشته لقضية « دورة الصفوة المتقطعة Interrupted Elite Circulation ، أن هذه الدورة ـ وخاصة فى تأثيراتها على المثقفين ـ يمكن النظر اليها باعتبارها ظاهرة شائعة بالنسبة لكثير من المواقف الثورية . (1938, p. 78)

ومن المؤكد أن ما يفترضه البعض من أن الزيادة المفرطة فى أعداد الاشخاص المتعلمين يؤدى الى انبثاق الجماعة المثقفه ذات النزعة الراديكاليه ، هذا الافتراض فى الحقيقة غير بعيد عن الواقع على الأقل بالنسبة للمستويات المعتدله والعليا من البطالة .

وتتحقق صحة الافتراض السابق من خلال تلك الدراسة الكمية التى

أجريت فى نطاق الدراسات لقومية المقارنة التى نهضت اساسا لدراسة قضية (بطالة المثقفين) intellectual unemployment (1937)
حيث اكد والتركو تشينج Kotschnig انه لم يلاحظ ـ فقط ـ تلك العلاقة الوثيقة بين النزعة الراديكالية للمثقفين ووجود تلك الأعداد الوفيرة من المتعلمين ، وكنه لاحظ أيضا انه خلال فترة الاكتئاب العظيم أو الكبير Great Depression كانت النزعة الراديكالية للمثقفين قل انتشارا فى كل من انجلترا والولايات المتحدة عنها فى بقية أوروبا الغربية ، وذلك على أساس أن مشكلة البطالة فى كل من انجلترا والولايات المتحدة كانت أقل حدة ما هو سائد فى بقية دول اوروبا الغربية ٠

وفى دراسة حديثة أجراها لينور أوبويل Lenore (1970) O'Boyle عن بطالة المثقفين فى كل من انجلترا وفرنسا والمانيا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، أكد أن هناك علاقة بين وجود الأعداد الضخمة من المثقفين فى كل من فرنسا والمانيا وبين اشتراك هؤلاء المثقفين فى ثورتى ١٨٣٠ و ١٨٤٨ ٠

ولعل هذا يفسر لنا السبب فى عزوف مثقفى انجلترا عن الاشتراك فى مثل هذه الاحداث ، وذلك على اعتبار أن انجلترا لم تخبر مشكلة البطالة ٠

ولقد حاول أحد دراسى قضية العلاقة بين المثقفين والبطالة أن يفسر لنا تلك الظاهرة حيث أشار الى أن غالبية مثقفى انجلترا فى القرن التاسع عشر قد تمتعوا بفرص وفيره فى العمل خلال مؤسسات الطبقة المتوسطه كصحيفة التيمز Times ، فضلا عن الخدمة فى المستعمرات الانجليزية ٠ (Annan, 1955, p. 244).

ثم نتجاوز كل ذلك الى القرن العشرين حيث نجد فرانك باركين Parkin قد استخلص من دراسته المعنونة « الجماعة الحربية البريطانية لنزع السلاح النووى «British Campaign for Nuclear Disarmament»

ان المثقفين الذين كانوا يتخذون من المؤسسات الثقافية للصفوة مركزا لحميتهم كانوا أقل انجذابا الى السياسات المتطرفة Extremist وذلك بعكس **المرتزقة من المثقفين** Freelance intellectuals الذين افتقدوا الاحساس بالأمن الوظيفى من جهة ، وافتقروا الى الخبرة التى كان ينبغى ان يكتسبوها خلال الضغط النظامى الذى يحفزهم على الامتثال الى المعايد السلوكية الأرثوذكسية من جهة اخرى (1968, pp. 97-99)

ومن الممكن ايضا أن نلاحظ أن أصحاب **الاتجاه المعتدل من المفكرين** قد وجهوا حالة من الفراغ المهنى ، بل أحيانا ما كانوا يتعرضون ـ بصورة خطيرة ـ **الى البطالة والتعطل** ، الأمر لذى يدفعهم الى تبنى **الحركات الراديكالية** Radical movements لمختلف أشكالها ومعتقداتها ٠

ولكننا ينبغى أن ننوه ـ رغم تعدد النماذج السابقة ـ أن **تمرد المثقفين** عادة ما يحدث فى غيبة الجماعات الكبرى من الأشخاص المتعلمين الذين كانوا من الناحية الاقتصادية بلا انتماء طبقى ٠ ففى روسيا على سبيل المثال نلاحظ أن الحقبة التى كانت تقع ما بين عامى ١٩٦٠ ، و ١٨٧٠ وقبل ثورة عام ١٩١٧ ، هذه الحقبة قد شهدت ارهاصات موجة بطالة بين المثقفين ، كما نلاحظ أن تطور المجتمع الأوروبى قد شاهد أيضا نموا للانتلجنسيا الثورية Revolutionary intelligentia (Brower, 1975, p. 41 ; Fischer, 1960, p. 259).

وفى الحقبة التى عاصرتها باريس كمقاطعة Paris Commune لم تكن هناك بروليتاريا مثقفة ، وانما كانت هناك مجموعة من المثقفين الذين كرسوا كل جهودهم لتحطيم الامبراطورية الثانية فى فرنسا ٠
(Jellinek, 1965, p. 27)

ولقد حاول جيلينيك Jellinek أن يقدم لنا تفسيرا لاشتراك الجماعات المثقفة فى أحداث عام ١٨٧١ **حيث قال :**

« ان السبب الذى من اجله أدين الرجال البوهيميون يرجع الى أن النظام الاوتوقراطى كان من الجمود بحيث لم يستطع أن يعدل بين العلم الأحمر وغيره من الخطوط الأخرى (٣) ، وكذلك فلم يكن للضغوط الاقتصادية أى دور فى ظهور الجماعات الصينية المتعلمة المناهضة ، بل ان السبب فى ظهور ذلك يرجع ضغوط الرقابة البوليسية (٤) . (Ibid)

وبعبارة اخرى ، لقد كان الميكانيزم الخاص بخلق الحركة الراديكالية بباريس يكمن فى طبيعة السياسة السائدة آنذاك ، حيث كان النظام السياسى لايسمح ـ نظرا لطبيعته ـ أن يكون المثقفون من اصحاب الاتجاهات المعتدله فضلا عن ان هذا النظام قد حرم هؤلاء المثقفين من تحقيق التكامل مع الحياة الوظيفية الرسمية لفرنسا .

لقد فشل المثقفون الفرنسيون فى أن يكونوا حشودا من الوظائف الرسمية الحكومية ، كذلك لم يوفقوا فى أن تكون لهم مراكز نفوذ أو تأثير فى المجتمع . (٥)

ويمكن أن تعزى حالات التطرف السياسى Political Extremism بين المثقفين فى فرنسا الى تقييد حرياتهم من ناحية واعاقة جهودهم لممارسة قوتهم فى المجتمع من ناحية أخرى . ولعل نفس هذه الظاهرة نجد مثيلا لها لدى روسيا القيصرية .

وظاهرة البطالة بين المثقفين قد لاتكون واحدة فى كل من باريس وسان بيترسبرج St petersburg ولكن المؤكد ان ظاهرة سوء التكامل السياسى Political malintegration للمثقفين واحدة فى كل منهما

والمناقشة الراهنة كانت موضوعا لعديد من الدراسات المعاصرة ، يمكن ان نذكر منها دراستين لكل من ايان وينبرج In Weinberg وكينيث والكر Kenneth Walker (1970) . ففى دراسة موضوعها « العلاقة بين دارسى السياسة والنظم السياسية » فى كل من أمريكا اللاتينية ـ

وفرنسا ، وانجلترا والولايات المتحدة الامريكية ، كشفت عن أنه فى الوقت الذى كان فيه المحترفون السياسيون Political Professionals من الطلبة معدومى التأثير داخل الاحزاب السياسية القومية ، كان المهتمون بدراسة السياسة أكثر نزوعا نحو الانتماء الى الاتجاهات الراديكاليه التى يعوزها التنظيم ، فى الوقت الذى كان فيه محترفو السياسة من الطلبة اكثر ميلا نحو الارتباط بأدنى درجات النزعات المتطرفة ٠

ولعل ذلك يتماثل مع حالة جماعة اثقفين الذين انتموا الى الأقليات العرقية أو القومية فى فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية ٠٠٠ حيث ساهمت أوروبا الشرقية فى ظهور أعداد كبيرة من الحشود التى ساهمت فى تخلق الحركة الشيوعية Communist movement ٠

فلقد قاسى كل من الأرمن Armenians والبلغاريين Bulgars والكرواتيين *Croats والتشيكيين Czechs والمجريين الاصليين Magyars والـ Mntenegrians ، واهالى مقدونا السلافيين Slavo-Macedonians والسلوفاكيين * ، والسلوفينيين Slovenes * ، والصربيين ، قاسى هؤلاء جميع انواع الاضطهاد التمييز ، الأمر الذى حرمهم مزية الانخراط فى المؤسسات السياسية الرئيسية ، أو غيرها من المؤسسات الأخرى ٠ ومن ثم ظهرت الحركة الشيوعية من خلال الجماعات المثقفة لهذه الأقليات ، والتى كانت بمثابة العابرة التى وصلت بهم الى أعلى مستويات التكامل (٦) ٠
(Burks, 1961. pp. 91-186-188-0.)

ولعل ما أشار اليه روبرت ميتشيل Michels (1932, p. 121) فى حديثه عن اليهود كأقلية ما يؤكد المعانى السابقة ، حيث يقول :

---

* ينتمون الى كرواتيا وهى تقع فى الشمال الغربى من يوغوسلافيا (المترجم) ٠

Hungarians الأفراد الذين يشكلون العنصر الرئيسى للمجريين (المترجم) ٠

** السلوفاكيون هم المقيمون بتشيكوسلوفاكيا الشرقية (المترجم)

*** هم مواطنو يوغسلافيا (المترجم) ٠

« ان الاضطهاد الاجتماعى الذين استشعره اليهود خاصة فى الجامعات قد سبب لهم احساسا بالمعاناة من تحيز السلطات ، وقد اتجهت الجماعات اليهودية المثقفة ـ التى تعانى من نفس الشعور بالتمييز ـ الى الانتماء الى النزعه الراديكاليه باختلاف درجاتها » .

ولا ينبغى ان تكون الاشارات السابقة سببا فى **أن تجعلنا نفهم ان القمع السياسى** Political Repression **يمكن ان يؤدى بالضرورة الى ظهور النزعات الراديكاليه** . ولكن كما يشير ديفيد كوت David caute فان الاضطهاد المستمر والمطلق له تأثير كبير على تحطيم كل ظواهر الاستياء . (1966, p. 87)

ومع ذلك ، يمكننا ان نتحدث عن تلك العلاقة غير المتوازنة بين كل من **النظم الاضطهادية وتمرد المثقفين ، حيث نلاحظ** أنه عندما يصل الاضطهاد الى قمته ثم يطبق بصورة غير مستقه ، نستطيع عندئذ أن نتوقع أن تصل بالتالى لنزعة الراديكالية لجماعة المثقفين الى قمتها أيضا Brym, 1978 b, pp. 52-3-92-3, 114, 121 ; Tilly et al., 1975, pp. 244 and Pissim).

ولقد وصلت حركة الاستياء التى اجتاحت الجماعات المثقفة بعد الحرب الى قمتها ، خاصه فى كل من بولندا وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفيتى ، حيث انبثقت الدعوة الى الليبرالية Liberalism وهى الدعوة التى صاحبت وفاة ستالين
(Lipset and Dobson, pp. 155-8).

ولا شك أن عامى ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ، قد شاهدا وعاصروا المحاولة الرامية الى اعادة صياغة الطبيعة الفكرية للمثقفين فى الصين (أثناء حكم ماو Mao ، وهى المحاولة التى أدت بدورها الى اتساع حركة النقد للنظام السياسى التى تزعمها المثقفون (Chen, 1959) . ومن المعروف ان استخدام البوليس الصينى للعنف ضد حركة الطلبة عام ١٩٦٠ قد أدى أيضا

الى زيادة انتشار الحركات الراديكلية بين الطلبة ٠
(Adamek and Lewis, 1973, Touraine, 1971, pp. 71, 121, 160-5, 183-4).

ويمكننا أن نلخص الرأى الراهن الخاص بالجذور الاجتماعية Social roots للحركة الراديكالية للمثقفين بما يلى ٠ ان المثقفين الذين يعملون فى ظل الشعور بالأمن وبأنهم يحتلون أوضاعا وظيفية ذات مسئوليـــه ومتساوية مع أنماط التعليم الذين حصلوا عليه ومستويات هذا التعليم ، الأمر الذى يجعلهم احرارا فى أن يفكروا وأن يعملوا وفقا لارادتهم ، هـؤلاء المثقفون ، هـم المثقفون المعتـدلون moderates ، ولكن عندمـا لا يمنح المثقفون الاوضـــاع الوظيفية المسئولة والآمنه التى تتناسب ومســـتوى تدريبهم ، وعندما تقيد حريتهم فى التعبير والبحث ، فعندئذ تتوقع ـ من واقع هؤلاء المثقفين ـ أن يظهر المتطرفون السياسيون Political Extremists وقـــد يثير **التـراث السسيولوجى الجـاد تساؤلا** حـول مـــدى صـحة القضايا المثارة آنفا ٠٠٠ ولسوف يعنى الفصل الراهن فى أجـزائه الباقية بعرض وجهتى النظر اللتين نظرتا الى المثقفين الراديكاليين باعتبارهم قدر المجتمعات الصناعية المتقدمه ونصيبها ٠ **فهل هـل القـدر أو ذلك النصيب سوف ينألق ويزدهر أم سيكون مآله الى الذبول ؟**

نزعة الى البورجوازية أم تحول

نحـــو البروليتـــاريا

Embourgeoisement Or Proletarianisation

أضحت الدعوى التى حملت أسم « نهاية الايديولوجيا » The End of Ideology من أبرز العلامات لتى تميز منتصف عام ١٩٥٠ ، وهى الدعوى التى حمل لواءها كوكبة من رواد الفكر الاجتماعى بالغرب ٠

ولقد كانت الماركسية ، وكذلك الذين كانوا يؤمنون بفكرة العصـــر الألفى السعيد Millenarian ، وهؤلاء المنتمون الى المذهب الذى يؤمن بالوحى من اليهود والمسيحيين apocalyptic ، وكذلك أصحاب المذهب الذين يؤمن بالعصر الألفى الذى سيملك فيه المسيح الأرض Chiliastic . كانت كل هذه الاتجاهات والمذاهب ذات تأثير كبير على تفكير المثقفين الغربيين ، وهو الأمر الذى أكده المنظرون من أصحاب مذهب نهاية عصـر الايديولوجيا The End of Ideology .

ولكن هناك واقعتين يعتبرهما دانيال بيل Daniel Bell أنهمـــــا مسئولتان عما أسماه بظاهرة اســتنزاف الأيديولوجيـات Exhaustion of ideologies والتى كانت أحد ملامح عام ١٩٥٠ ٠

وتتعلق الواقعة الأولى بانتشـار الماركسـية اللينية ـ Marxism Leninism وتطبيقها بصورة مغالى فيها بالاتحاد السوفيتى ، وفى بعض الدول الأخرى من خلال التعديلات التى أدخلت على نظام الانتاج الرأسمالى ٠ ولقد اتخذ عدد من مثقفى الغرب موقفا معارضا من الأحزاب الشيوعية ، ورفضوا أن يكونوا مجرد تابعين لهذه الأحزاب ، ومن ثم كان لهم موقف

متحرر من النظام السوفيتى ، ومن محاولات موسكو ، ومن ميثاق أو معاهدة مولوتوف ريبنترون Molotov-Ribbentrof Pact • كذلك يـــلاحظ أن مثقفى الغرب قد وقفوا موقفا حرا ناقدا من محاولات السوفييت غزو فنلندا Finland واضطهاد عمال المجر ومثقفيها (حقا ، ان ما يمكن ملاحظته ليس بالكثير بالنسبة للتحرر من الأوهام والمعتقدات كقدرة يتحلى بهـا كثير من المثقفين ازاء المعتقدات الشيوعية ، أو على الأقل بالنسبة للولاء للاتحاد السوفيتى) •

أما الواقعة الثانية المسئولة عن ظاهرة استنزاف الأيديولوجيات ، فهى تتعلق بمجموعة من التغيرات الاجتماعية التى حدثت بصورة متزامنة والتى استهدفت استئصال ـ أو على الأقل تهذيب ـ بعض الملامح الخشنة للرأسمالية ، وهى الملامح التى اعتبرها بعض المثقفين أمرا كريها مثيـرا للتقزز ، ولقد ترتب على ذلك أن عرفت التشريعات الخاصة بالرعـــاية الاجتماعية ، كما أصبح الحق فى قيام تكتلات فى صورة اتحادات Unions أمرا معترفا به ، ومن ثم انتشر الرخاء وعمت الوفرة ، وأضحى المثقفون أنفسهم متحدين بصـــورة قوية من خلال انتمائهم الى المؤسسات المختلفة التابعة لمجتمعاتهم •

ولا شك أن هذا يعد ـ حقيقة ـ تتويجا للعملية التاريخية الممتدة التى حاول شيلز Shills أن يقتفى أثرها ، بالرجوع الى نهاية القرن التاسـع عشر ، **حيث يقول :**

« لقد قارب القرن التاسع عشر على المغيب فى الوقت الذى حاول فيه المتعلمون جعل الموضوعات الثقافية موضوعا للاستهلاك وذلك بظهور المثقفين المرتزقة Freelance الذين باعـوا حصيلة عملهم لأصـــحاب المشروعات ، أو بظهور هؤلاء المثقفين الذين عملوا بناء على عمولة تدفع لهم من أصحاب المشروعات • ولقد ساعد التطور الحديث الذى أحال المثقف منتجا لهـــذه النوعية من الموضوعات الثقافية ، ساعد على أن يجعل هذا المثقف أيضـا

يدخل فى اطار التنظيمات المتحده كاستديوهات السينما والاذاعه او شبكة التليفزيون • أما العصر الراهن فلقد شاهد اتجاها **ساد مجتمعات العالم ، الحر منها والشيوعى** ، ولقد تبلور هذا الاتجاه خلال تكتل المثقفين واتحادهم فى مؤسسات منظمة • ولعل هذا التكتل أو ذلك الاتحاد يشمل تعديلا فى الاتجاه نحو زيادة نصيب المثقفين من الاستقلال مؤسسيا أو تنظيميا ، وهو الاستقلال الذى أصبحت له قاعدة من خلال تطور نظم الطباعة » • (1972, p. 13)

ومن أهم النتائج التى يمكن استخلاصها من صيغة اتحاد Shills فى معرض دراساته عن مثقفى بريطانيا وامريكا فى القرن العشرين ، تلك النتيجة الخاصة بظهور النزعة المعتدله فى السياسة •

والنزعة الاعتدالية فى السياسة تعد احدى انجازات منظرى نهـــاية عصر الايديولوجيا End-Ideology Theorists ، وهى تعتبر ــ أى هذه النزعة ــ جزءا من عملية أكبر تتعلق بالتطور الذى طرأ على السياسة من الناحية النظامية ، وأعنى بذلك الظاهرة المعروفة باسم التحديث modernization

ويرى ايزنشتات S.N. Eisenstadt ان الطبقات الجديدة والشرائح التى تخلقت من خلال المجتمعات التقليدية يمكن النظر اليها باعتبارها ظواهر تحديثية modernized (مثل العمال الصناعيون ، والموظفون من أصحاب الياقات البيضاء ، والمثقفون) • وهذه الطبقات وتلك الشرائح قد ترتبط بالاتجاهات الراديكالية فى السياسة حيث يلعب التحديث modrnization دورا فى تحقيق الوفرة النسبية لهذه الاتجاهات الراديكالية •

وهناك أمران ينبغى أن يتحققا حتى يتوفر الاستقرار السياسى Political Stability ، **الأمر الأول هو الاعتراف** بوجود النقابـــات والتنظيمات المهنية ، **والأمر الثانى يتعلق** بتحقيق المستوى الأدنى من الضمان الاجتماعى ، والسعى نحو تنظيم ظروف العمل • أما المشاركة السياسية

Political Participation فينبغى ان يتسع مداها من خلال ـ مثلا ـ التوسع فى منح حق الانتخاب Franchis • وينبغى كذلك ـ تحقيقا للاستقرار السياسى أن تنتقل الرموز الحديثة والقيم بصورة قوية الى المواطنين من خلال عملية التعليم الجماهيرىmass educationمن ناحية ، وعن طريق وسائل الجمعى mass media من ناحية أخرى 1966, pp. 62-3, 104-142-4).

ومن الملاحظ أن ضآلة حجم أو قدر التكامل الكلى الهادىء لجماعة المثقفين داخل المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية قد أدى بطبيعة الحال الى انبثاق الراديكالية وظهورها ، ولعل هذا يشير الى المحاولات الكلية التى تستهدف تحقيق عملية التحديث بصورة سريعة اعتمادا على الوسائل السياسية ، وفى بعض الأحيان تستهدف هذه المحاولات الاسراع أيضا بالخطوات المتئدة للطبيعة المنحرفة • وحقيقة لقد سمح ايزنشتاتEisenstadt بوجود هوات يعترض بعضها البعض الآخر ، ووجود انهيارات داخل عملية التحديث ، الا أنه أدرك أن نزعة التطور الاجتماعى هى حركة تتجه نحو تحقيق درجة أعلى من تكامل الاتجاه نحو المواطنة ، فضلا عن ادراكه لدرجة اتساع النزعة المعتدله فى السياسة خلال الدوائر المختلفة للجماعة المثقفة والجماعات الأخرى •

ومن المؤكد أنصار لرؤية السابقة يوافقون على الحقيقة التى مؤداها انه لا يمكن ـ بالنسبة للمجتمعات الغربية ـ أن نعتبر وجود المستويات الدنيا من الراديكاليه السياسية غير المعلنة مجرد نتاج لظاهرة التآلف (٧) وانه من الممكن ان تعتبر أن وجود مثل هذه المستويات الدنيا من الراديكاليه السياسية هى انعكاس طبيعى لممارسة القهر السياسى • ولقد اتجه مسار التطور الخاص بظاهرة الاجماع أو الاتفاق العام Consensus نحو الاهتمام بالقواعد السياسية للعبة Political rules of the game

ولقد اضحى الجدل المثار حول القضايا الكبرى مثل قضية الملكية الخاصة

غير ذى بال بسبب تلك الحلول التى توصلنا اليها للمشكلات الاساسية للنظام الرأسمالى (٨) ، وهو الأمر الذى أمتد ايضا الى الصراع السياسى Political conflict وهو الصراع الذى عادة ما يحدث فقط عند البحث عن أكثر أشكال الاصلاح وصولا الى دوله الرفاهية Welfare State ، وهى الدولة الأكثر كفاية (٩) • ولقد كتب دانيل بيل Daniel Bell انه يوجد ـ فى العالم الغربى اليوم ـ نوع من الاتفاق العام بين المثقفين حول القضايا السياسية : **كقبول دولة الرفاهية ، والرغبة فى تحقيق لامركزية القوة** ، ونظام الاقتصاد المختلط ، ونظام التعددية السياسية •

(in Waxman, 1968, p. 99). (1.) Political Pluralism

أما لويس كوزر Lewis Coser فكان أكثر ميلا الى التنبؤ باستمرارية الصراع السياسى بالولايات المتحدة الأمريكية ، ولكنه اعترف ايضا أن غالبية هذا الصراع سوف يحدث بالتأكيد خلال حدود ضيقة للغاية • ويرى كوزر Coser ان ظهور الاتجاه الراديكالى لدى مثقفى الولايات المتحدة الامريكية مرتبط بمستقبل **واهن ضعيف** • فمن ناحية فان تنافس الأغلبية سوف يسمر (على الرغم من أن كوزر ـ من خلال استخدامه لاصطلاح التعددية Pluralism ـ قد تصور أن هذا التناس سوف يحدث بصفة أساسية داخل اطار مقبول اجتماعيا وسياسيا) ، ومن ناحية أخرى فان هناك اتجاها نحو زيادة استغراق المثقفين داخل الأجزاء المختلفة للنظام او المؤسسة ، لكى يحدد او يرسم نهاية المثقفين كما يعرفهم التاريخ الحديث او بالصورة التى يعرفهم بها التاريخ الحديث ،
1970 — pp. 359-358 ; cf. Merton, 1968 ;
(Wilensky, 1956)

ولا ينبغى أن يتسرب الينا الشك ـ خلال تلك المناقشات ـ بحيث يعتقد البعض أن الوظيفيين هم وحدهم الذين أشاروا الى ظاهرة **استغراق المثقفين من خلال زيادة نطاق المؤسسات البيروقراطية الحكومية كالجامعات**

والنقابات وشبكات الاذاعه باعتبارها القوة التى يمكن ان يكون لها دور فى ايقاف التيار الراديكالى للمثقفين ٠

ومما يؤكد عدم انفراد الوظيفيين وحدهم بالتنوية بظاهرة استغراق المثقفين فى مؤسسات الدولة أن السير رايت ميلز C. Wright Mills فى كتابه المعنون : The enfant terrible of American sociology الذى نشر عام ١٩٥٠ ، قد تبنى نفس الآراء السابقة وعلينا لكى نكتشف ذلك بأن نعيد قراءة عنوان الفصل الخاص بالمثقفين من أصحاب الياقات البيضاء White Collar. (1951, pp. 142-60) ولذلك فانه من غير المنصف أن ندعى أن ميلز Mills لم يضف الا النذر اليسير بالنسبة للتحليلات الخاصة بتلك القضية، بل تستطيع أن نؤكد أن ميلز Mills قد قدم تلك القضية ، أو على الأقل قد زاد من نطاق شهرتها ، وجعل تلك الرؤية أكثر قبولا بالنسبة للوضع الطبقى المعاصر للجماعات المثقفة ٠

ولقد أتضح تأثر ميلز Mills بفكر ماكس فيبر Weber من خلال مناقشته لمسألة « الطبقة المتوسطة الجديدة » New middle class ، والمكانة التى يحتلها المثقف فى هذه الطبقة ٠ ويرى ميلز Mills ـ كما رأى من قبله فيبر Weber ـ ان الوضع الذى يحتله الفرد على منظومة التدرج داخل المجتمع ينهض وفقا لعدد من المقومات هى : مصدر الدخل وكميته ، والهيبة Prestige ، وقوة الشخص فى السيطرة على سلوك الآخرين ٠ واذا كان ماركس Marx قد اعتبر أن الملكية Ownership ومقابلها اللاملكية ـ non-ownership هى المحك الذى يميز بين الطبقات الاساسية فى المجتمعات الرأسماليه ، وهما الطبقتان البورجوازية والبروليتاريا ، **فان ميلز Mills يرى أن هذا المحك لم يعد اساسا مناسبا للتمييز بين اعضاء الطبقة المتوسطة الجديدة والعمال اليدويين ، حيث لاحظ أن كلتا الجماعتين غير حائزة** Propertyless ٠ **ولكن المحك المميز بين الجماعتين هو أن اعضاء الطبقة الوسطى الجديده بوجه عام والجماعة المثقفة على وجه الخصوص يتميزون بدخولها المرتفعة وبانها أكثر هيبة ، وأكثر قوة من**

جماعة العمال اليدويين . وبعبارة أخرى ، لا نستطيع أن نعزو انتماء المثقفين كأعضاء ـ بالطبقة الوسطى الى علاقتهم بوسائل الانتاج ، ولكن هذا الانتماء حسبما يرى ميلز Mills ـ يرجع الى علاقتهم بنسق توزيع الاثابات الاجتماعية Social Rewards (الدخل ، الهيبة ، القوة) . ومن المؤكد أن العملية التى يتحول من خلالها المثقف الى بورجوازى قد لا تكون من خلال تحويله الى مالك للحيازه (Property-owner ، ولكن على الأقل بمساعدته فى أن يستهلك أكبر قدر من البضائع ، وأن يستمتع بكميات وفيرة من الخدمات ، كى يستمتع بالتالى بمزايا الشرف الاجتماعى Social Honour ، فضلا عن منحه استقلالا واسع النطاق فى عمله ، وهو الاستقلال المرتبط بالقدرة الخاصة على ضبط سلوك الآخرين .

ان التمييز بين مقولتى علاقات الانتاج وتوزيع هذه المتغيرات الثلاثه (يعنى بهم المؤلف الدخل والهيبة والقوة بالصورة التى عرضها ميلز ـ المترجم) ليصبح ذا أهمية خاصة ، ولا سيما وأن هذا التمييز يكشف عن عائق تحليلى ، يفصل بين هؤلاء الذين يعتقدون ان المثقف من الممكن ان يتحول الى بورجوازى embourgeiosified وهو ما يؤدى الى تآلفه مع المجتمع وبين هؤلاء الذين يرون أن تآلف المثقف مع المجتمع يعنى بالضرورة تحول هذا المثقف الى النزعة البروليتارية Proletarianization . والنزعة البروليتارية ـ كقضية ـ يكن النظر اليها من خلال نقيضها وذلك تحقيقا للوضوح والاختصار . واذا ما أهتم انسان ما باثارة ذلك **التساؤل الذى مفاده : ما هو مقدار ما يمكن أن يملكه المثقفون بالنسبة لبعد الحيازة ؟** لكانت الاجابة الواضحة ، والمتوقعة آنذاك هى « **ليس كثيرا جدا** » «Not Very much» . وكذلك اذا ما نظر البعض الى بعد اللاملكية Non-ownershipكسمة محددة لأعضاء الطبقة العاملة ، فان هذا يعد فى حد ذاته دليلا على أن المثقفين يندفعون بصورة متزايدة داخل الطبقة .

وبالطبع فلسنا فى حاجه الى أن نكون مارسيين حتى نؤكد صحة تلك الملاحظات . ولقد لاحظ ماكس فيبر Weber فى مقاله الشهير عن

البيروقراطية Bureaucracy أن هناك أعدادا وبيرة من الباحثين وأساتذه الجامعات Docents فى المانيا فى مطلع القرن العشرين قد أنفصلت عن وسائل انتاجها ، بنفس الأسلوب الذى عمل فيه المشروع الرأسمالى أيضا على أن يفصل العمال عن وسائل انتاجهم (1946, p. 224) • ويرى فيبر Weber أن العمالة المتزايدة للمثقفين فى المؤسسات البيروقراطية كمعاهد البحوث والجامعات يمكنه النظر اليها باعتبارها مسئولة عن انتزاع القدرة على التحكم فى وسائل الانتاج الخاصة بالمثقفين من المثقفين أنفسهم • ان كثيرا ممن نطلق اصطلاح الماركسيين الجدد Neo-Marxists يختلفون عن فيبر Weber فى رؤيتهم لتلك العمليه (معنى علاقة المثقفين بوسائل الانتاج والتى أشار اليها افيبر باعتبارها علاقة انفصال ـ المترجم) وما يرتبط بها من متغيرات معقدة باعتبارها نتاجا للنزعة المتزايدة لدى قطاع من المثقفين لكى يدعموا الأيديولوجيات الراديكالية Radical Ideology

ويؤكد بيتينا أبتكر Bettina Aptheker انه ومنذ الحرب العالمية الثانية نلاحظ أن الانقلاب الصناعى والتحول من الميكنة Mechanisation الى الآلية Automation قد أدى الى أحداث عدد من التغيرات الكيفية فى علاقة العلم بالصناعة ، وبالتالى كان لهذه التغيرات تأثيرها على علاقة الجامعة بالعمليه الانتاجية ، بينما كان التحسن الذى طرأ على تكنيكات الانتاج ـ فى العصور المبكرة ـ ينعكس ـ ولكن بصورة مستقلة ـ على البحوث العلمية ، اما الآن فان العملية البحثية تعد أحد متطلبات التقدم الصناعى • فالعمية البحثية سواء أكانت اجتماعية أو عملية طبيعية أصبحت القوة الانتاجية الرئيسية للمجتمع الانسانى لأن « الانتاج لم يعد مرادفا فقط لكلمة صناعى » • (1972, p. 53)

لقد أضحت البحوث الأساسية للجامعات مسألة هامة بالنسبة لتخطيط التطور الصناعى • حيث تقوم هذه البحوث بتزويد الصناعة بمختلف الاختراعات التكنولوجية ، فضلا عن قدرتها على صياغة أو تشكيل العلاقات الاجتماعية بالمصنع ، **الأمر الذى جعل من أعضاء المؤسسات العلمية ـ سواء**

أكانوا اساتذة فى الكليات او طلابا للعلم فيها ـ جزءا متكاملا من الطبقة العاملة غير الحائزة Propertyless وهى الطبقة المغتربة الناهية نحو الثورة • ولا شك ان الدارس لحركة عام ١٩٦٠ يلاحظ ـ طبقا وجهة نظر ابتكر Aptheker ـ أنها تعد أول ظاهرة سياسية لهذه العلاقة المتغيرة للمثقفين فى علاقتهم بالعملية الانتاجيه •

ويتبنى آلين تورين Alain Touraine نفس الرؤية التى طرحها أبتيكر Aptheker ، حيث صرح بأن أحداث عام ١٩٦٨ فى فرنسا تمثل بالنسبة له « البداية لكثير من الصراعات الجديدة التى سوف ينظر اليها باعتبارها اساسا لما عانته الحركة العمالية فى فترة التصنيع الرأسمالى » • (1971, p. 351)

ويؤكد أبتيكر Aptheker ذات المعانى حيث يشير الى أن الصراعات الجديدة يمكن أن نعتبرها نتائج وانعكاسات للتغيرات الاساسية التى حدثت فى ادوات الانتاج • واذا كان كل من أبتيكر Aptheker وتورين Touraine قد أكدا ـ من خلال أفكارهما ـ على أن هذا الكم من التغيرات سوف يؤدى الى ذبثاق ما يسمى بالمجتمع مابعد الصناعى Post-industrial Society حيث تصبح **المعرفة** هو العامل الأساسى والمحورى للانتاج ، كما أن نمو هذا الانتاج وقوته لايتوقعان على العلاقات الاقتصادية والأنشطة المرتبطة بذلك ، ولكنهما يتحققان ـ أى هذا النمو وتلك القوة ـ من خلال القدرة العامه على اتخاذ القرارات وعلى التأثير فى كل مظاهر الحياة الاجتماعية (Ibid, pp. 23-4) • ولا شك أن الشقاق او الصراع السياسى بين كل من المنفذين Executives والبيروقراطيين Bureaucrats **من جهة** والخبراء والفنيين والعمال من ذوى الياقات البيضاء White Collar Student trainees Workers

من جهة أخرى ، فلا شك أن هذا الصراع هو سمة تميز النظام الاجتماعى غير الشخصى ، ذى الاتجاه البيروقراطى العقلانى Rationalized ويحدث ذلك الصراع بين تلك الجماعة البركى فى الوقت الذى تتخلف فيه

النظم الاقتصادية والتعليمية عن الأخذ باسباب التحديث تحقيقا للتواؤم مع متطلبات النظام الاجتماعى أما هؤلاء المؤيدون لفكرة الصراع الطبقى فانهم يتكونون من اعضاء الأنتجلنسيا Intelligentsia الذين تحولوا الى الطبقة العامله ، أو تحولوا الى فئة العمال الذين فى سبيلهم الى التدريب Workers-in-training داخل ابناء التكنولوجى • ولعل هذا يفسر لنا السبب فى أن :

« حركة الطلبة ـ الوقت الراهن ـ لا تتكون من الانتلجنسيا ، ولكنها تتشكل من العمال الذين فقدوا امتيازاتهم ونماذجهم التقليدية داخل البناء ، ولكنهم ـ فى الآن نفسه ـ حققوا مكانة كبرى داخل التنظيم الاقتصادى ، وبالتالى كانت لهم مكانتهم داخل الصراعات الاجتماعية • »

(Ibid., p. 221)

وتكشف الاشارات السابقة عن أن كلا من عمليتى النزوع نحو البورجوازية Embourgeoisement والاتجاه صوب البروليتاريا Proletarianisation يتسمان بالاحتكاك والتنافس حلال بعدين ، يضاف اليهما بعد ثالث ، وهذه الابعاد الثلاثة هى كما يلى :

(١) ان أحدهما يميل الى التركيز على علاقات الانتاج (يقصد بذلك الاتجاه الماركسى ـ المترجم) بينما ينزع الآخر نحو الاهتمام بتوزيع الاثابات الاجتماعية (يعنى تصور ميلز Mills ـ المترجم) •

وانه لمن المنطقى والواقعى **أن نؤكد ان المثقف الحديث** modern intellectual اضحى بروليتارى النزعة Proletarianised فى ضوء الوضع الذى يحتله فى العملية الانتاجية ، كما انه اصبح أيضا ذا اتجاه بورجوازى embourgeoisified بسبب ما يستمتع به ـ نسبيا ـ من اثابات اجتماعية ذات مستوى عال •

(٢) ان كثيرا من المناقشات التى دارت حول هذين الاتجاهين قد اكدت على أن النزعة الراديكالية للمثقفين Intellectual Radicalism

تعد انعكاسا للتكامل الواهن لكل من الأوضاع الهنية والبناءات السياسية المرتبطة بشكل وثيق بالجماعات المسيطرة • ومن الممكن من الاتجاهين ان يعتمد على البراهين المتعلقة بالجذور الاجتماعية Social roots للنزعة الراديكالية للمثقفين ، والتى استعرضناها فى القسم الأول من هذا الفصل ، على اعتبار أن هذه البراهين تعد شكلا من أشكال التدعيم الواقعى أو الامبريقى •

(٣) ولكن هذين البعدين يتناقض أحدهما مع الآخر ، ويظهر ذلك عندما نتناول مسألة نسب التنبؤ ومستويات التكهن الخاصة بالنزعة الراديكالية للمثقفين فى المستقبل ، وعلاوة على ذلك ، فان هذه القضية يمكن اعتبارها أولى مبررات اهتمامنا بهذه المسألة • ولسوف نبحث فى الجزء التالى عن ذلك الاتجاه الذى سوف يزودنا بالأساس القوى لتحقيق التكهنات والتنبؤات التى تقوم بمهمة تبسيط العمليات الاجتماعية المسئولة عن تكوين الجماعات الراديكالية المثقفة •

النزعة الراديكالية والقوة

Radicalism and Power

لقد قام كارل ماركس Marx فى كتاباته المبكره باستعراض نقدى لإسهاماهم بالاقتصاديين السياسيين من ذوى النزعة البورجوازية bourgeois political Economists ، حيث أعتبر أن قوانين المجتمع الرأسمالى أصبحت – تاريخيا – صادقة بصورة عالمية ، وكذلك فان كثيرا من الأعمال الفرعية لماركس من الممكن أن ننظر اليها باعتبارها محاولة لتحديد الطبيعة الزائلة ephemeral nature لما يمكن النظر اليه على أنه شىء ثابت لا يتغير immutable . ولقد أرتكب بعض الوظيفيين Functionalists وبعض الماركسين الجدد Neo-Marxists نفس الخطأ فى محاولاتهم النظرية حول المثقفين . فببساطة لقد أخطأ هؤلاء حين تعاملوا مع العمليات قصيرة الأجل short-term processes بغرض تحقيق النزعات طويلة الأجل Long-term tendencies.

ولقد أضحى جليا اذن أهمية السياقات السسيوتاريخية Socio-historical Contexts فى فهم أسباب تخلق ظاهرة النزعة نحو البورجوازية (أو البرجزة ان صح التعبير – المترجم) وانبثاق العملية الخاصة بالتحول نحو البروليتاريا Proletarianisation . فالظاهرة الأولى (النزعة البورجوازية) قد ظهرت خلال سنوات الحرب الباردة ، عندما كان الصراع السياسى بين الأمم بؤرة لاهتمام الملاحظ السياسى ، فى حين أن الظاهرة أو العملية الثانية (عملية التحول صوب البروليتاريا) قد ساعد على تخلقها عاملان (المؤلف هنا يتحدث عن موقف المثقفين من كل من النزعه البورجوازية والاتجاه نحو البروليتاريا – المترجم) ، العامل الأول يتحدد فى **ظاهرة العمل العالمى** ، بينما كان العمل الثانى خاصا

بظاهرة **عدم استقرار المثقفين** ، وهى الظاهرة التى تجلت فى منتصف عام ١٩٦٠ ، عندما كان الصراع داخل Within الأمم ذاتها محاولة لاعادة التأكيد على هوية هذه الأم • وبظهور عام ١٩٥٠ أصبح هناك تأكيد على أن النزعة الثورية للمثقفين كانت فى حالة تراجع أو انسحاب in treat بينما كان العقد التالى لذلك (يعنى عام ١٩٦٠) دليلا قويا علىى أن هذا النمط الاجتماعى كان فى سبيله الى الظهور •
(Cf. Bottomore, 1956, pp. 19-28).

وهكذا ، ومن منطلق هذه الحقيقة ، نجد أن العلماء الاجتماعيين قد حاولوا ـ بصورة منتظمة ـ أن يحصلوا على المعطيات الخاصة بدرجة براديكالية المثقفين وبمستوى هذه الراديكالية طوال الحقب الزمنية المختلفة : وهى المعطيات التى سوف تساعد على عدم تعزيز أحد هذه المناقشات •

وفى الحقيقة فان بعض هذه الدعائم المتناثرة والتى ينهض وفقا لها ذلك البرهان الذى بين ايدينا ، قد أظهرت أن راديكالية المثقفين قد أصبحت منتشرة فى الولايات المتحدة الامريكية ، فلقد قام كل من ليبست Lipset ولاد Laddبالحصول على نتائج التصويت الخاصة بالاتجاهات السياسية لطلاب الجامعة الامريكية منذ عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٧٠ ، حيث أظهرت النتائج ان كل جيل يعد يساريا بالمقارنة بالسلف Predecessors ، وهو فى نفس الوقت يعد يمينيا بالنظر الى الخلف successors (١٢) •
(1971, p. 657)

ومن الناحية التنظيمية ، يمكننا أن نشير الى نمو الحركة النقابية unionization لدى العديد من البلدان الغربية بالنسبة للجماعات الاكاديمية والصحفيين ، والمهندسين ، والموظفين المدنيين من ذرى المستويات التعليمية ، حيث نجد دليلا على ان المثقفين يتبنون نفس الاستراتيجيات الخاصة بالعمال الصناعيين ، وذلك دفاعا عن مصالحهم (اى مصالح الجماعات الاكاديمية والصحفيين والمهندسين ... الخ ـ المترجم) • ولعل

هذا يكشف عن أن كثيرا من المثقفين **لاينظرون الى اوضاعهم اعتبارها اوضاعا مختلفة كيفيا عن اوضاع العامل الصناعى** ، ثم ان هـذا يمثل حجـر الزاوية على طريق تطور الانتلجنسيا الراديكالية Radical intelligenstia (Oppenheimer in Halmos, 1973, pp. 213-28)

ولكن هل استطاعت كل من التحولات التى طرأت على الاتجاهات واستحداثات التنظيمية أن تؤكد قضية التحول نحو والبروليتاريا ؟ الواقع أن كثيرا من الكتاب من امثال ابتكر Aptheker وتورين Touraine قد اهتموا بتلك القضية مؤكدين ان المثقفين فى المجتمعات الرأسمالية المتطورة سوف يأتون لكى يرفضوا الأيديولوجيات السائدة Prevailing ideologies ككل ، مستهدفين تحقيق صياغة أساسية جديدة للبناء الخاص بالنظام الاجتماعى ، وهو أمر لايعنى مجرد تطوير أشكال للوعى السياسى الى يسار الجماعات المسيطرة (يقصد بها الجماعات الرأسمالية ـ المترجم) • ومع ذلك ـ ومع استثناء البناء الاساسى للمثقفين فى كل من فرنسا وايطاليا ـ فان هذه الظاهرة لم تحدث على نطاق واسع •

ولقد عاشت التيارات الراديكالية المتحققة داخل مختلف النظم والمهن فى العالم الغربى • ولكن بناء على الدراسات الامريكية والبريطانية نستطيع أن نعلن أن هناك ـ فى غالبية البلاد الاوروبية ـ عددا من الظواهر منها ذلك النمو السريع غير المتناسب للقطاعات ذات التوجيه اليسارى والخاصة بالنظام التعليمى ، والعمل • ومن هذه الظواهر أيضا ذلك النمو السريع غير المتكافىء لقضية الفقر ـ وقانون المستهلك ، والتخطيط الحضرى، والعلوم الاجتماعية ، والانسانيات ، والخدمة الاجتماعية ، والطب الصناعى والبيئى ، ثم أيضا ذلك النمو السريع غير المتكافىء لفرص العمل لهؤلاء الأفراد الذين تلقوا تعليمهم بالجامعات ، ومراكز المساعدة القانونية والنقابات ، والمؤسسات ، والكنائس ذات الصلة بالمؤسسات الخدمية ، كذلك البرامج التى وضعت لمواجهة الفقر ، والحقوق المدنية للجماعات ، فلا شك أن كل هذه

الظواهر قد شجعت بصورة متزايدة على ظهور الاتجاهات الاصلاحية ، ولم تعمل على خلق المعارضة الثورية Revolutionary Dissent (Zald and McCarthy, 1975 ; also Adler, 1976 ; Heraaud and Perrucci in Halmos, 1973, pp. 85-102, 179-94).

وأبعد من ذلك ، فان الجدل الخاص بعملية التجمعات النقابية أضحى أمرا على جانب كبير من الأهميه ، وكان دليلا على ظهور تلك النزعات المتجهه صوب تطور الوعى الثورى Revolutionary Consciousness . ومن المحتمل أن تتضمن عملية الصياغة النظامية وسيادة الروح التأثيرية لعملية الرفض التى يتزعمها المثقفون ، وفى نفس الوقت نجد أن النقابات الصناعية غالبا ما توظف كى توجد العمال الصناعيين داخل النظام الرأسمالى اكثر من كونها مؤسسة تزودهم بالاساس التنظيمى لاسقاط هذا النظام .

وحتى ذلك الدليل غير الكاف يؤكد أو يدعم ذلك الجدل الذى مفاده أن المثقفين أصبحوا أقل راديكالية من الناحية السياسية Less radical politically

وحقيقة فلقد أصبحت السنوات الراهنة (العقود المعاصرة) دليلا على استخدام الدولة والسلطات الأخرى للخبراء المثقفين بصورة متزايدة ، وهم الخبراء الذين أسماهم نوم كومسى Noam Chomsky (1969) باسم كبار الموظفين الجدد (١٣) new, mandarins ، وذلك تحقيقا للأغراض النظرية والعملية فى مواجهة المعارضة . ولكن من الملاحظ أن كثيرا من الدراسات التى اهتمت بالتيار اليسارى الطلمانى الذى تبناه العديد من طلاب الجامعات ، كذلك تلك الدراسات التى عنيت بالآراء السياسية للمثقفين قد كشفت عن أن أعداد كبار الموظفين الجدد New mandarins يتزايد بصورة بطيئة بالمقارنة بالعدد الكلى للمثقفين فى المجتمع .

وعلاوة على ذلك ، فانه من الجلى أن نوبات الاثارة والانفجار التى يثيرها الرفض المتطرف الخاص بالمثقفين سوف تظل مستمرة ، حتى فى تلك

الأمم المتقدمة اقتصاديا ، ويرجع السبب فى ذلك جزئيا الى أن القـــوى الاجتماعية Social Powears تجعل من سوء تكامل المثقفين intellectual malintegration ـ كظاهرة ـ أمرا دائم الارتباط بها · ولقد تعـــامل منظرو نهاية عصر الايديولوجيا مع حركة الطلاب عام ١٩٦٠ وظهور اليسار الجديد New Left بقدر من الدهشة ، وترجع هذه الدهشة الى عدم ادراك هؤلاء المنظرين لطبيعة هذه الحركات وتلك لظواهر ·

ولا ينبغى ان يخدعنا ذلك الفكر الذى يذهب الى أن التيار الخـــاص بالردة أو الارتداد الاقتصادى economic recession لايمكن أن تكون له نتائج خطيرة · وعلى الرغم من اختلاف المثقف من بلد الى آخـــر ، ومن نظام الى آخر ، فان غالبية التنبؤات ذات الطبيعة الجدلية السوسيوقسطائيه من الممكن أن تتيح لنا أن نتصور أن سوق الأفراد ذوى المستويات التعليمية العالية فى كثير من المجتمعات مثل بلجيكا وكندا والدانمارك ، وفرنســـا والمانيا والمملكة المتحدة ، وأخيرا الولايات المتحدة الامريكية ، سوف يصبح ـ أى سوق هؤلاء المتعلمين ـ أكثرسوءا حتى منتصف عام ١٩٨٠ بالنسبه لحاملى البكالوريا baccalaureates ، ثم أن هذا السوق سوف يحمل أيضا نفس درجة السوء ١٩٩٠ بالنسبة لأصحاب الدرجات الاكثر رقيا
(Buschluter, 1977, Cinman, 1973, Freeman, 1976, Schwarz, 1977 ; Van Zur-Muehlen, 1977, Wilson, 1977).

وجدير بالذكر أن كثيرا من الأشخاص الذين تم تخرجهم ما بين عامى ١٩٦٠ و ١٩٧٠ ـ وهم قدامى الخريجين ـ قد فشلوا من أن يكونوا بـــدلاء عن الخريجيين الجدد ، ولقد عانى هؤلاء القدامى كثيرا من ضعف الطلب على مهاراتهم وتأثير ذلك على حياتهم الداخلية (Freeman, 1976, p. 57) · وقد نشهد فى السنوات القادمة ـ ولكن بصورة ليست كاملة ـ انبثاق ظاهرة التجرد الطبقى للانتلجنسيا فى الغرب ، ولســوف نكون أيضا شهودا على هؤلاء الذين احتشدوا بصورة كبيرة خلال الأجيال القليلة من خريجى الجامعات الذين لديهم قدر من الخبرة بالرؤيةالراديكالية للسياسة ، والذين كانـــوا

موضوعا لظاهرة البطالة المزمنة Chronic Unemployment ، والظاهرة التى يطلق عليها اسم ظاهرة (تحت التوظف) (المقصود بها انتظار الموظفين تحقيقا للتوظف والالتحاق بالأعمال ـ المترجم) underemployment ، **وهما الظاهرتان اللتان دفعتا المثقفين ـ خلال ظروف متماثلة ـ الى تبنى الرؤية السياسية الثورية** • ولكن ـ على أية حال ـ لا تستطيع الرؤية هذه أن تكون رؤية حاسمة كاحتمال متميز للتفسير •

والرؤية السابقة ـ بطبيعة الحال ـ ما هى ـ فقط ـ الا رؤية أوليـــة tentative ،وهى أيضا لا تعدو أن تكون رؤية تنبؤية قصـيرة المدى Short-term forcast • وبوجه عام فان الدليل المتاح لدينا لا يسمح لنا أن نصل الى قضايا كاملة حول هذا الموضوع سواء بالنسبة للوظيفيين Functionalists او بالنسبة للماركسيين الجدد Neo-marxists

ولقد بدت الدعاوى المتطرفة Claims extravagant اكثر حذرا ، وهى الدعاوى التى كانت تدور حول النزعات الخطية المنيفة inexorable Linear tendencies الموجهة اساســـا نحو **تطـــور الوعى الثورى** Revolutionary consciousness **او نحـــو لا تطـور** هـذا الوعى ، كمـا ان هذه الدعاوى المتطرفة قد أدركت ان الماضى قد شهد سلسلة من الدوائر الخاصة بالمثقفين المتطرفين الذين جمعوا بين القلق والهدوء ، والذين تزايدوا بصورة تدريجية من خلال المعارضة ذات النزعة الاصلاحية Reformist dissent وأخيرا فان هذه الدعاوى المتطرفة قد افترضت أن المستقبل سوف يشهد استمرارية هذا النموذج الخاص بالمعارضة ذات النزعات الاصلاحية •

ومن المؤكد أن كلا من العملية البرجوازية (أو البرجزة ـ ان صح التعبير ـ المترجم embourgeoisement ، والعملية البروليتاريا Proletarianisation **كقضـــيتين دن الممكن ان يخضـــعا للنقـد والتنقيد** ، ليس ـــ فقـط ـــ بسبب ماأصابهما من تطور دون فائدة عملية تذكر ، **ولكن أيضـا بسبب عجزهما عن تقديم أساس نظرى مناسب تستطيع أن نفسر من خلاله التيارات**

المختلفة التى تكشف عن ظاهرة عدم رضاالمثقفين وانى لأجزم أن ظاهرة اللا تكامل الاقتصادى والسياسى تعد بعدا هاما ـ ولكنه ليس كافيا ـ لتبرير ظهور الانتلجنسيا الراديكاليه Radical inteligentsia • وبالاضافة الى ذلك ، فان المثقفين الذين يشعرون باللا تكامل ، ينبغى ـ اذا ما اصبحوا وظلوا راديكاليين ـ أن يمتلكوا السلطة لكى يفعلوا بعض الشىء حـــول ما يشعرون ازاءه بعدم رضا • أما المثقفون غير المنتمين طبقيا ، أو هؤلاء الذين انفصـلوا عن البنـاءات السـلطوية القـائمة فهم ـ فى الواقـع اما طائفيون (مذهبيون) sectarians أو أشخاص متحررون من الأوهام disillutuioned ، فاترو الشعور Apathetic • وحتى أولئك الأشخاص السياسيين الذين يملكون المصادر السياسية تتضح أهميتهم فى قدرتهم على ترجمة حنقهم Ire الى سلوك او فعل سياسى • وانه لأمر غير مبالغ فيه أن نذهب الى أن عالم الاجتماع قد أهملوا بصورة كبيره هذا البعـد المتعلق بالقوة عند مناقشاتهم التى دارت حول العلاقة بين المثقفين والسياسة الراديكالية •.

ولقد أمدنا منظرو « نهاية عصر الايديولوجيا » برؤية واضحة حول تلك القضية • وينبغى أن نعيد القول ونؤكد أن كثيرا من مؤيدى هـذه المدرسة الفكرية (مدرسة نهاية عصر الايدلوجيا ـ المترجم) قد رؤوا ان ما وصل اليه المثقفون فى الولايات المتحدة الامريكية من اتفاق لا راديكالى Non-radical consensus حول القضـايا السياسيه ما هـو الانتـاج لعملية الاندماج أو التوحد النظامى ، وغيره من العوامل الأخرى • ولكن ـ وكما أشار روبرت هابر Harber ـ فان تناقص الصراع بسبب ظاهرة الاتفاق Consensas ، سـوف يجعـل المثقفين يتجاهلون عمليـات القمع الظاهرة الصراع • (in Waxman, 1968, p. 189).

والواقع أن ما يشير اليه هابر Haber يكشف عن حقيقة هـؤلاء الافراد من أصحاب السلطة السياسية بالولايات المتحدة الأمريكية ، الذين وجهوا كل قدراتهم لتنظيم الحياة السياسية فى الفترة التى تقع بين الحرب

العالمية الثانية وعام ١٩٦٠ ، حيث بدأت الحركة الراديكالية فى الظهور من خلال التدعيم الذى تلقته هذه الحركة من جموع المثقفين الأمر الذى جعل من هذه الحركة أمرا لايمكن تصديقه (١٤) • ولقد أصبحت وسائل العنف أكثر ميلا للتعقيد ، كما أنها أصبحت ذات فاعلية ، ثم أن هذه الوسائل كانت تعمل من خلال التركيز على أن محاولات اسقاط الحكومات كان أمرا غير واقعى من الناحية الاستراتيجية ، ولعل تزايد المصادر المادية والقانونية المتاحة بالنسبة للسلطات لصياغة قوانين الانتخابات والقوانين المناهضة لعمليات السقوط والانهيار Anti-subversion ، ثم تلك الاسهامات المالية لتأسيس الاحزاب السياسية ، والوقوف الحازم أمام النقص فى المصادر المتاحة للتعرف على الأنصار الحقيقيين للحركات الجماهيرية ، وكذلك المحاولات المتاحة للتعرف على الأنصار الحقيقيين للحركات الجماهيرية ، وكذلك التحذيرات من **الخطر الأحمر** Red menace بالنسبة للنظام الداخلى للوطن ، ثم تلك المحاولات التى استهدفت تطهير النقابات والجامعات والصحافة وصناعة الترفية والتسلية ، والسياسة ، والمهن المختلفة من الأفكار والأفعال التى تتعارض مع بناء القوة الراهن ، لعل كان كل ذلك قد أتاح للسلطات أن يكون لها موقف من الحركات الراديكالية • وباختصار ، فان هابر Haber يرى أنه لاتوجد أى معارضة أو نزاع حقيقى (يعنى بين السلطة والحركات الراديكالية ـ المترجم) • ولا يرجع هذا ـ أى عدم وجود المعارضة أو النزاع الحقيقى ـ الى أن هناك اتفاقا حول القضايا السياسية وأن المثقفين لم يكونوا أطرافا فى الصراعات السياسية عام ١٩٥٠ ، ولكن عدم المعارضة هذه يرجع الى أن الاشخاص ذوى الأهمية Protagomists فى لعبة الصراع كانوا مختلفين ومتميزين عن هؤلاء المثقفين فى درجة سوء تكاملهم وعدم رضاهم حيث كان كل من النقص البسيط فى المصادر السياسية المتاحة للسلطات وتلك الزيادة فى المصادر (١٥) السياسية المتاحة للمثقفين (وللمناصرين الآخرين) مدعاة لكى تحدث تلك الزيادة الراديكالية لجماعة المثقفين •

ولعله من الأهمية بمكان لكى نلقى الضوء على بعد القوة

Power Dimension عند مناقشة العلاقة بين المثقفين والسياسة الراديكالية أن نقدم **عددا من التحديدات** بالنسبة لهذه القضية · **أولا :** أن القوة في حد ذاتها قد تعرف من الناحية البنائية باعتبارها قدرة على ضبط الآخرين والسيطرة عليهم من خلال تقرير القضايا وتحديد المسائل ، وعن طريق هذا التقرير او التحديد ، يمكن لتلك القضايا ان تستمر ، وتكبت بالتالى الصراعات الظاهر منها والخفى · (Lukas, 1974)

وتتعين المحددات البنائية الثلاثة Structural Determinants للقدرة من خلال : **(١)** حجم الجماعة **(٢)** مستوى التنظيم الاجتماعى للجماعة (٣) مصادر الضبط والسيطرة · وعادة ما تكون الجماعات الكبرى لها القوة الكبرى عن تلك الجماعات الأقل حجما · واذا كانت هناك جماعتان ذات حجم متماثل ، فان الجماعة الأكثر تنظيما هى الجماعة التى تتاح لها **الفرصة لأن** تكون ذات قوة أكبر · أما اذا كانت هناك جماعتان متماثلتان فى الحجم ، وفى درجة التنظيم ، فان الجماعات التى تنجح فى السيطرة أو التحكم فى المصادر بصورة أفضل هى تلك الجماعات التى تتاح لها فرصة تملك القوة الأكبر · (Bierstedt ; 1974)

وتنقسم غالبية المصادر الى ثلاثة انماط هى : **(١)** فيزيقية او قهرية Coercive (متضمنة المدخل الى وسائل العنف) **(٢)** المادية (متضمنة القدرة على منح ومنع وانسحاب الارباح الاقتصادية ، فضلا عن الخسائر) (٣) الرمزى او المعيارى Symbolic or normative (ويتضمن القدرة على التحكم فى شبكات الاتصال بقصد اضفاء الشرعية على النظام السياسى أو تقويض شرعيته (١٦) (Oberschall, 1973, pp. 246 ff.)

دعنا نبدأ مناقشتنا لهذه الأسس المختلفة للقوة السياسية بالتركيز **أولا** على قضية التنظيم الاجتماعى · فطبقا لما يراه كل من الوظيفيين والماركسيين الجدد Neo-Marxists ، فعلينا ان نتوقع أن نجد علاقة عكسية بين مستوى التكامل الاقتصادى والسياسى للمثقفين داخل كل من

الطبقات او الشرائح من جهة ، وبين درجة النزعه الراديكاليه لـدى المثقفين من جهة أخرى • وعلى الرغم ، كما نرى ،ان تلك العلاقة قـد وجدت لها شواهد لدى الغالبية الحـالات ، الا أن الحقيقة تؤكد فى نفس الوقت أن هذه العلاقة غير قائمة ، فمثلا ، ان الطلاب الروس من ذوى النزعات الراديكالية بالقـرن التاسـع عشر قد **عطلوا كـل نشاطاتهم الخاصـة بالجناح اليسارى بعد تجرجهم ، حيث تطلبت المسئوليات المهنية موقفـا سياسيا أكثر اعتدالا • ولكن بعض الطلاب** فى عام ١٨٧٠ قد رفضوا قبول فرص التوظف ، **فضلين الحياة المهنية الثورية** Professional Revolutionary **أو انهـم قبـلوا هـذه الوظائف ، الا انهم ظلوا على نشـاطهم بالنسبة للحركة الثورية** • (Brower, 1975, pp. 38, 142 ff. and passim)

وينبغى أن نفسر سلوك هؤلاء الطلاب انطلاقا من تلك الحقيقة التى صاغها شيدل دانيال برور Brower (1975) والتى تذهب الى أن الموقف الثقافى الراديكالى المضـاد Radical Counterculture قد أصبح على درجة عالية من التنظيم كما أنه اصبح سمة نظامية للحياة السياسية الروسية عام ١٨٧٠ ولمناقشة اصول هذه الثقافة المضادة ينبغى أن نذكر أن هذه الثقافة تتكون من مجموعة من الشبكات تشكل التنظيمات المختلفة ، وتتضمن أيضا حلقات المناقشة التى يعقدها المثقفون ، وتجمعات الطلبة ، وبنوك الاقراض ، والصحف والمحاكم ، والمكتبات ، والجمعيات التعاونية ، واللقاءات العـامة •• الى آخره • وفى الحقيقة ان ما اسماه برور Brower بالمدرسة المستقلة للمعارضه independent school of Dissent ، وهى المدرسة التى تقوم بدورها ـ بصورة جزئية ـ داخل هذه المدرسة ، ولكنها أيضا تضطلع بدورها خارج نطاق النظام المدرسى official shcool system، كما أن هـذه المدرسـة ، **تعمل على تزويد الحركة الثورية بحشودها المختلفة • وبعبـارة أخرى** ، وتحقيقا لوجود الحركة الثورية ، فقد استمرت فى التزود **بأفراد أو حشود جدد** ، فضلا عن العمل بصورة مستقلة بعيدا عن **كل من اغراء فرص العمل واستخدام القمع الحكومى** (Ibid, pp. 17-38).

ولا شك أن الروابط القوية التى تتسم بها مدرسة المعارضه School of Dissent قد حطمت كل محاولات الحكومة لاضعاف هذه الروابط ، كذلك فان هذه المدرسة قد قضت على امكانية صياغة روابط للعالم المهنى لشرعى الأمر الذى لم تستطع معه الحكومة انتجرد هذا الأنشطة من طبيعتها الراديكالية deradicalise activities • ومن المؤكد أن وضع النظم المضادة للثقافة السائدة فى سياقها النظامى ، سوف يزود هذه النظم ـ المضادة بقاعدة من القوة ، وهى القاعدة التى تعمل على تغذية الحركة الراديكالية للمثقفين •

وبوجه عام ، فانه يمكن التأكيد على أن المستوى العالى للتنظيم الاجتماعى لجماعة المثقفين يكشف عن درجة عالية من راديكالية هؤلاء الذين ينتمون لتلك الجماعة • ولقد أورد ليبست Lipset فى استعراضه للتراث الخاص بسياسة الطلبة مجموعة من الأدلة والبراهين أكدت تلك القضية • ولقد لاحظ ليبست Lipset أن الطلبة الذين يقطنون فى بيوتهم **الخاصه** بعيدين عن مساكن الطلبة Campus **اقل اشتراكا فى الأنشطة السياسية** ، عن هؤلاء الذين يعيشون خارج بيوتهم الخاصة ، لأن هؤلاء يجدون فى الحياة التنظيمية ، التى تمثلها بيوت أو مساكن الطلبة ـ المترجم) نوعا من الابدال الخاص بالحياة الاجتماعية ، تلك التى تركوها فى أسرهم (1968 b. p. 7)

وفى دراستهما المقارنة عن المثقفين فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ، أشار كل من ليبست Lipset ودوبسون Dobson الى أن هناك مدى واسع من المعرفة أمكن استخلاصها من ذلك **التركز** المتزايد للمثقفين داخل أوضاع اجتماعيه وجغرافية معينة • ولا شك أن هذا **التركز** يعمل على انتشار **الأفكار غير الارثوذكسية** (يعنى الافكار المتحرره وغير المقيده ـ المترجم) ، كما أنه ـ أى هذا التركز ـ يساعد على **تنمية الاحساس بالهوية المتألقة** والشعور **بالتضامن** وبما يمكن تسميته بالاحساس بالانتماء الى الصفوة :

ولقد بدأت عام ١٩٦٠ النزعة الراديكالية فى الانتشار بين غالبية الجماعات الأكاديمية فى الولايات المتحدة الامريكية (فى جامعات بوسطون Boston ، ونيويورك New York ، وبيركلى Berkeley، وآن آربون An Arbor ، ومادیسون Madison ، وفى الاتحاد السوفيتى كانت هذه النزعة منتشرة فى المدن العلمية الخاصة بالأقمار الصناعية Scientific State Lite Town ' مثل مدينة موسكو ثم تلك المدن العلمية كمدينة Akademgorodek فى Novisibirsk **والتى تعد مراكز للمعارضه • ويحيا** خلال هذه المدن مؤيدو الحياة العقلية الحره ، فضلا عن كونها مراكز للصحافة السرية (صحافة ما تحت الأرض) Underground Press (1972, pp. 161, 164)

اما الأساس الثانى للقوة ، والذى يستحق اهتمامنا فهو **الدرجة** التى يتحكم من خلالها المثقفون فى المصادر **القهرية والمادية والمعيارية** والتى تعتبر ذات اهمية بالنسبة للارتباط بالصراع • لقد تجاهل كثير من المعلقين ـ بصورة واقعية ـ هذه المسألة ، رغم أنها كانت واضحة ـ بصورة خاصة ـ **فى تحليلات الحركة الديمقراطية** بالاتحاد السوفيتى ، فضلا عن ذلك فان هذه اسألة أدت الى تخلق عدد من الملاحظات الجدلية حول مجال الحركة الراديكالية للمثقفين وفاعليتها فى الاتحاد السوفيتى ـ ولقد اعتقد فرانك باركين Frank Parkin على سبيل المثال ـ وهو أمر كان واضحا بالنسبة لى ـ فى **محاولته الرامية الى تحديد بعض الملاحظات حول اسباب ظهور حركة المعارضه المعاصرة التى يتزعمها المثقفون بالاتحاد السوفيتى ، ومن هذه الملاحظات انه ليس ـ فقط ـ خضوع المجتمع السوفيتى للتحول الداخلى عن الصيغة الماركسية التقليدية هو السبب** فى انبثاق حركة المعارضة ، وانما السبب فى انبثاق هذه الحركة يرجع كما يرى باركين Parkin **الى أن الانسان عندما يبحث عن موقع داخل المجتمع الاشتراكى خلال طبقة صاعدة تتوحد بعملية التحول ، واديها القدرة على دفع هذا التحول** (يعنى أن عملية البحث هذه تتساوق مع النزعة الراديكالية ـ المترجم) •

ثم هل انحسارالشك عن الانتلجنسيا Intelligenstia يحفز البعض على أن تتولى هذه الفئة المناصب المناسبة (1972, p. 51) ان قضية تولى الانتلجنسيا للمناصب سوف تتسم بالوضوح – فيما أظن – فقط عندمـــا يتجاهل لانسان مسألة السيطرة على المصادر والتحكم فيها (المقصود بالمصادر هنا المصادر الفيزيقية القهرية والمادية الاقتصادية والمعيارية والتى تعمل على خلق حالة الصراع بين المثقفين كمعارضة والسلطة – المترجم) ٠

ومن المؤكد أن هناك ظلالا من الشك تدور حول ما اذا كانت القوات الحربية وقـــوات الشـــرطة بالاتحـــاد السوفيتى تمثـــل بصـــدق غالبية العناصـــر المدعمة للنظـــام Regim — Suportive Elements بالمجتمع السوفيتتى ٠ ومع ذلك ، فانه من غير اليسير أن نكشف عن امكانية حدوث تحول سياسى رئيسى بالاتحاد السوفيتى على الاقل من أسفلFrom below دون أن يكون هناك معارضون Dissidents يمارسون بعض درجـــات السيطرة او التحكم فى وسائل العنف : وانه لمن المعروف من زمن بعيد أن ارتداد الشخص (او الاشخاص المسئولون) عن تحقيق الضبط الاجتماعى القمعى Repressive social Control يعد شرطا قبليا للأهمية الحيوية لانبثاق الموقف الثورى Revolutionary Situation (Brinton, 1938)

واذا كنا فى حاجة الى برهان لكى نفسر من خلاله قدرة النظـــام (يقصد النظام السوفيتى – المترجم) على قمع معارضة المثقفين ، فاننا نجد ذلك البرهان فى السبب الرئيسى لانهيار الحركة الديمقراطية منـــذ عام ١٩٧٢ (بالاتحاد الســوفيتى – المترجم) **فالسلطات** – اذا قدر لى أن أستعير صورة – **قد استخدمت – بصورة مائمة – كل أساليب المعصور الوسطى للتعذيب** torture ، مطبقين اياهـا فى دورة اخـرى بصـورة لولبيه . Barghoorn in Tokés, 1975 pp. 35-95) ٠

واذا حاول البعض أن يدرس الكيفية التى تحكم من خلالها المعارضون

Dissidents من ناحية والسلطات من ناحية اخرى فى المصادر المادية material resources فلسوف يجد أن هناك لاتوازن على قدر كبير من التماثل • اما بالنسبة لعملية الاحتكار الوظيفى ، نلاحظ أن الدولة (السوفيتية) قد **حجبت** – بصورة منظمة – **الوظائف عن المعارضين** المثقفين Intelectual Dissident ، وفى حالات استثنائية نجد أن الحكومة (السوفيتية) **تحثهم على الهجرة بغرض استنزاف القيادات العليا من المعارضين المثقفين • واكثر من ذلك فان حجب مزايا معينة** (كمنع السفر الى الغرب) عن المثقفين ، **أو منع التقدم الوظيفى** ، كانا امرين كافيين **لتخويف الأصوات المعارضة واثارة الرعب فيها** •• كذلك فان الدولة لديها **القدرة على استمالة العديد من الراديكاليين وضمهم اليها ، من خلال الاغراءات الاقتصادية** Economic inducements ، مثل **الاغراء بالوظائف ذات الاجور المرتفعة ، أو الانعام عليهم بالبيوت الريفية الروسية** ، وغير ذلك من الاغراءات • وعلى العكس من ذلك ، **فان المعارضين غير قادرين على تقديم اى اغراءات مادية للمناصرين الفعليين يمكن ان تحفزهم على الارتباط بالحركة** الديمقراطية • (Smith, 1977, pp. 587-620)

انه لمن المؤكد أن الموقف سوف يصبح أفضل بكثير ، اذا ما كان فى الامكان السيطرة على شبكات الاتصال • ولاشك أن المعارضين لديهم القدرة على نشر الأفكار التى تقف فى مواجهة السلطة القائمة وذلك من خلال نشر بعض الأدب النقدى Critical Literature (Samizdat) وتسجيل سلسلة من الاغنيات النقدية Critical Songs (magnitzdat) وأعتقد أننا لسنا فى حاجة الى التأكيد على أن مصادر الأفكار الراديكالية لا تستمتع الا بوجود قلق غير مستقر Pre carious existence ، وهو امر يتأكد خلال البوليس السرى الذى يطلق عليه اسم Secret Police Crackdown الذى يمارس سلطاته على الادب النقدى Samizat ومدى انتشاره ، ولقد أنذر الرقيب مجلة تأريخ الأحداث الجاريه Chronicle of current events, (1972-3) وحجر على كم هائل من الآراء التى تلعب

دورا فى صياغة المضمون الخاص بوسائل الاتصال (Lifshitz-Losev, 1978)
وفى منتصف عام ١٩٥٠ نلاحظ أن ما اكتسبه المثقفون المجريون من سيطرة على غالبيـة الصـحف الحزبية ، ومـا حققته رابطـة الكتاب المجريين Hungarian Writers Association ، والمجلات الأدبية المختلفة ، فضلا عن الجمعية الخاصـة باثارة القضايـا الجدليـه والتى تعرف باسـم Petrofi Circle ، كل هذا كان بمثابة الأداة التى ساعدت المثقفين فى المجر على اكتساب الدعم الجماهيرى لثورة عام ١٩٥٦ ٠
(Oberschall, 1973, pp. 128-9).

ولقد حدث كل هذا خلال الفترة التى أعقبت وفاة ستالين Stalin ، حيث كانت القيادة السياسة (يقصد القيادة السياسية بالاتحاد السوفيتى ـ المترجم) منقسمة على نفسها ، كذلك كان استخدام لضبط الاجتماعى القهرى غاية فى الضعف ، وهو الأمر الذى لايمكن مقارنتة بما يحدث الآن بالاتحاد السوفيتى ٠

وكان لندرة المصادر التى تحت أيدى المثقفين بالاتحـاد السوفيتى (أعتقد أن المؤلف يعنى بالمصادر ، تلك الوسائل القهرية والمادية والمعيارية التى يمكن أن تتاح للمثقفين أو لغيرهم للتحكم فى حركة المجتمع : سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ـ المترجم) **نتيجتان : أولا :** على الرغم أن كثيرا من المثقفين على درجة من التكامل غير القوى ببناء السلطة السياسية ، وعلى الغم من أن بعض هؤلاء المثقفين كـانوا يشـعرون بالاغتراب عن المعتقدات والرموز والقيم الخاصة بالجماعات المسيرة بالاتحاد السوفيتى ، الا ان المستوى العام للحركة الراديكالية للمثقفين فى الاتحاد السوفيتى كان ضئيلا للغاية ، وهو بعكس ما كان يتوقع أتباع الجدل الخاص بظاهرة سوء التكامل ٠ ولقد أشترك حوالى الفين من المثقفين السوفييت فى عروض مفتوحة للمعارضة (Friedgut in Taekés, 1975, pp. 123-4) ، وعلى الرغم من أن عـدد المتعاطفين Sympathiers معهم كان كبيرا بصورة لايرقى اليها الشك ، الا أن غالبية المثقفين السوفييت عادة ما كانوا يذعنون ، ويتخذون مواقف

سلبية ، ومن ثم كان ينسحبون الى عوالمهم الخاصة ، (Feifer in ibid, pp. 418-37) • ويرجع السبب الرئيسى لذلك الى أنهم يفتقرون الى المصادر السياسية وتنقصهم القدرة على معرفة مواطن اللاقوة Powerlessness الخاصة بهم •

أما النتيجة **الثانية** فتتخلص فى أن المعارضين السوفيت أضحوا بمثابة **وسائل خاصة لتحقيق عملية ابدال التوجيهات المعيارية للآخرين ازاء التغير** السياسى • (Biddulph in ibid., pp. 96–115 ; Lipsky 1968). اذ أن المعارضين السوفيت قد حثوا عن امكانية زيادة حجم المشاركة الوجدانية الجماعية نحو العملية الديمقراطية السياسية • ولقد انبثقت المحاولات الرامية الى تأكيد قيمة هذا **المحدد الثالث للقوة السياسية** (يعنى زيادة حجم المشاركة الوجدانية الجماعية نحو الديمقراطية ـ المترجم) من خلال **أولا** ارسال الخطابات الخاصة والعرائض والشكاوى الى سلطات **لحثها على اتخاذ الاجراءات الهادفة الى تحقيق الحرية** • وقد تستجيب السلطات لهذا خلال أسلوبين اما **الصمت أو الانتقام** reprisal ، لمر الذى يحفز المعارضين على الشكوى للجهات الخارجية مثل الأحزاب الشيوعية والأحزاب الاشتراكية بالدول الاجنبية ، أو الشكوى لمثقفى الغرب ، أو للهيئات العالمية كالصليب الأحمر Red cross الرأى العام العالمى بوجه عام • ان هذه الاستراتيجية قد تصادف نجاحا محدودا فى ضوء ما هو معروف عالميا بمعاهد الطب النفسى ـ حيث يعالج المعارضون ـ بسبب النفى الى سيبر Siberian exilel • وفى النهاية ، فان الاستراتيجية الثالثة الخاصة بجذب المعارضة نحو المثقفين السوفييت الآخرين ونحو الجماهير السوفيتية قد باءت بالفشل • ولقد بقى المثقفون فى خوف وهلع من قوة الدولة ، واضحى المواطنون فى تعارض ـ بصورة أساسية ـ مع دعاوى المعارضين (smith, 1977, pp. 299 and Passim) • ومع ذلك ـ وكما ناقش بعض المعارضين ـ (e.g. Amalrik, 1969) **فان نجاح الحركة** الديمقراطية Democratic movement **يتوقف على تحريك أكبر عدد ممكن من الأفراد ، وبوجه خاص أعضاء الطبقة العاملة ، ضد النظام** •

ان الاتحاد السوفيتى ـ كحالة ـ يعلمنا أن هناك قوة فى الأعـداد فى التنظيم ، وفى مصدر التحكم ، ولكن كل هذا بدون قوة أكبر (١٧) فـان المثقفين ـ بغض النظر عن كيفية سوء تكاملهم مع النظام ـ لا يمكن أن يصبحوا راديكاليين على نطاق واسع • ولاشك أن هذه القضية لها نتائج متعددة بالنسبه لراديكالية المثقفين بوجه عام •

من المؤكد أننا نتبنى مشروعا نحاول من خلاله أن نقوم بعملية تعميم لنستقرىء الماضى وننعم النظر فى المستقبل ، ولكى نكون أكثر كفاءة فان هذا يتطلب ادوات تحليلية analytical tools أكثرا تطورا من تلك التى قدمها لنا كل من الوظيفيين والماركسيين الجدد • لم تستطع الجمـاعة الأولى (الوظيفيون) (بالتحطيم الخطى للوعى الثورى) ، ولا الجماعـة الثانية (الماركسيون الجدد) (الذين كانوا يركزون على تطـور الوعـى الثورى) أن يصفا الماضى بصورة دقيقة • فعى الغرب نستطيع أن نؤكد أنه قد ظهر ـ كمسأله تعكس صـورة متقدمة ـ نمـوذج المعارضـة الاصلاحية Reformist dissent ، بينما كان هناك ـ على المسـتوى العالمى ـ نموذج دائرى قادر بصورة أفضل على وصف تطور الوعى الثورى Revolutionary Consciousnes وانهيـاره بين المثقفين • ان كلتـا النزعتين (يقصد المعارضة الاصلاحية والنموذج القادر على وصف تطـور الوعى الثورى وانهياره ـ المترجم) مرتبطتان بالمسألة التى تعنى بالاجابة عن ذلك السؤال : **من له قوة أكبر ؟** • ولقد انتشرت المعارضة الاصلاحية **بالمقارنة بالنمو السريع للشخرات ذات الميول اليسارية** فى النظم التعليمية والمهنية بالنسبة للأجزاء الاخرى للمجتمع المستغرقة فى انتـاج الأفكار • وتعنى كلمة (نمو) هنا الزيادة فى الحجم ، وفى التنظيم ، وفى المصادر ، باختصار **الزيادة فى القوة** power ، ولكنها القوة التى يعبر عنها الشـكل الاصلاحى ، لأن كثيرا من هذه الأوضاع أصبحت أكثر انضباطا ، وذلك لأن ألتزامات هذه الأوضاع تحد من التحديات التى توجه نحو السلطة وذلك تحقيقا للأمن الوظيفى • وهم هؤلاء الذين لايستطيعون أن يتوقدوا ثورية • (e.g. Oziewicz, 1978).

وعلى العكس من ذلك ، فان تطور الوعى الثورى Revolutionary consciousness بين المثقفين يتوقف على **الحصول على القوة :اعتبارها قاعدة خارج : نطاق السلطات :** وهذا ما قدمه ذوتسكى Trotsky ، وأطلق عليها أسم نسق القوة المزدوجه daul power ·

وهناك قضيتان جديرتان بالاهتمام الخاص فى هذا المقام ، وهما **أولا :** وضع الثقافات المضادة Counter Cultures للمثقفين فى سياقها النظامى institutionalization ·

ثانيا : الدرجة التى يمنح من خلالها غير المثقفين Non-intellectuals **الفرص لتحقيق الارتباط بالمثقفين** فى السياسة الثورية ، والتنظيمات غير الرسميه ، مثل جمعيات المثقفين ، وحلقات المناقشة discussion circles ، وشلل الصداقة ووحدات التجمع · ويمكن ان ينظر الى كل هذا باعتباره متغيرات **متداخلة بين : (١) فرص تحقيق تآلف** المثقفين فى المؤسسات التى لاتعرقل ـ بصفة أساسية ـ الوضع الراهن Status Quo و (٢) نسبة النزعة الراديكالية للمثقفين ومستواها ·

ونود أن نؤكد أن العلاقة بين رقمى (١) و (٢) ليست علاقة ميكانيكية ولكننا اذا اردنا أن نكون على بينة أكثر وفهم أدق للعلاقة القائمة بين هذين المتغيرين [متغير رقم (١) ومتغير رقم (٢)] فاننا ـ تحقيقا لذلك ـ سوف نقوم بدراسة التأثيرات الخاصة بالتنظيمات غير الرسميه · ولكن من المؤكد أن للتنظيمات الرسمية تأثيراتها أيضا ، فالأحزاب السياسية الراديكالية Radical Political Parties ، والمدارس المرتبطة بها ، والصحف ، والامتيازات الثقافية الاخرى باعتبارها تنظيمات رسمية لها القدرة على منح الفرص التى تحقق الاندماج الاجتماعى الذى يكون له تأثير على استعداد المثقفين للارتباط بالسياسة الثورية · ومن الملاحظ أن الطبقة العاملة فى كل من فرنسا وايطاليا منذ زمن طويل قد وجهت نحو تشكيل احزاب ، وهى تلك الاحزاب التى كانت اساسا للاتجاهات الثورية

للمثقفين • (Caute, 1964) ولقد كان لكثير من الطبقات العاملة الأقل راديكالية Less radical working class فى كل من بريطانيا وكندا ، فرص أقل ، وترجع هذه الضآلة فى الفرص الى أن مثل هذه الدول لديها ـ نسبيا ـ أقل الاتجاهات الثورية • (Bottomore, 1967, p. 107).

ولقد تصور أندريه آمالاريك Andrei Amalrik أن نجاح الحركة الديمقراطية فى الاتحاد السوفيتى يتوقف على مدى جدية الحركة الراديكالية للطبقة العاملة السوفيتية • وفى الحقيقة أن تصور آمالاريك Amalrik يتبع النموذج الكلاسيكى فى التاريخ الطبيعى للحركات الراديكالية التى تتخلق بين المثقفين • ولكن هذا التصور يصداف نجاحا ـ فقط ـ فى حالة حصوله على تأييد جماهيرى •

وضمنا الانتخابات الخاصة بالحزب الاجتماعى الديمقراطى المنفصل Social democratic and separatist party Québécois عام ١٩٧٦ بمثال أكثر حداثة عن هذه الظاهرة • وفى خلال عام ١٩٦٠ أضحت الحركة الانفصالية Separatist movement فى Quebec محدودة النطق • لاسيما بالنسبة للمثقفين وللأعضاء الآخرين ، وهم المتحدثون **باسم الطبقة المتوسطة الفرنسية الجديدة** • كما أن هناك أعدادا كبيرة من الأفراد الذين مازالوا فى مرحلة انتظار العمل ، أو يشعرون بالتمييز والتفرقة فى مقابل ما تتمتع به الطبقة المسيطرة من الأقلية الانجليزية فى باريس • ولقد استمر الحرمان من التأييد الجماهيرى حتى عام ١٩٧٠ ، الأمر الذى دفع المثقفين الى تحويل **الشعور بالاحباط** Frustration الى استخدام الارهاب Terrorism • ولقد تم التخلى عن هذه الاستراتيجية ، وأرتفع الانفصاليون الى مستوى القوة من خلال القنوات الانتخابية الشرعية ، ولقد أضحى هذا انتقالا سريعا للطبقة العاملة الفرنسية (والتى تتضمن الكتبة ، والبائعين ، وأنصاف المهنيين) خلال السنوات التالية لذلك •

(Cuneo and Curtis, 1974 ; Guindon, 1964 ; Hamilton and Pinard, 1976, Pinard, 1973 ; Posgate and McRoberts, 1976).

لعل هذا كله يقودنا الى **القضية الثانية** الخاصة بهذا الكتاب • ويمكن أن اشير تأكيدا لما سبق ـ ان **النزعة الراديكالية للمثقفين تستطيع ان تتواجد ـ فقط ـ فى حاله امتلاك المثقفين لعنصر القوة** كى يعبروا من خلالها **عن عدم رضاهم** • وينبغى ان نسلم بأن النزعة الراديكالية هى عبارة عن فكرة جميلة غامضة ، وأن **التمييز بين الاشكال الثورية والاشكال الاصلاحية أمر هام رغم** كل شىء ، وان النزعة الراديكالية تستطيع ان تعبر عن نفسها خلال عديد من الطرق والوسائل تحت مختلف الظروف الاجتماعية • فمثلا فى حالة الانفصاليين Quebec Separists **نلاحظ أن المثقفين الراديكاليين المنعزلين عن القاعدة الجماهيرية يمكن أن يتحولوا** الى الارهاب Terrorism ، **ويمكن لبعض الاستراتيجيات الأخرى الخاصة بالصفوة عندما تلتحم بالقاعدة الجماهيرية أن تشجع تبنى أكثر الاتجاهات ديمقراطية بالنسبة للسياسة** ، ومع ذلك ، فان الاتجاهات الديمقراطية فى مقابل اتجاهات الصفوة بالنسبة للمثقفين يعد أمرا ذا أهمية بالنسبة لدراسى الحركات الاجتماعية Social Movements على الأقل منذ نشر كتاب روبرت ميتشلز Robert Michels والمعنون : الاحزاب السياسية Political parties **وهو ما سوف يعيننا على تحليل المشكلة من خلال الاهتمام بمناقشة ما أسفر عنه هذا العمل الذى قدمه روبرت ميتشلز** Michels •